ـ ما دمتَ طرحتَ هذه الملاحظة ـ السؤال، فلاكنْ صريحاً معك في القول. منذ قصيدتي الأولى، وأنا أعرف أني صوتُ نفسي وموضوعُ هذه القصيدة، لا صوتُ تيارٍ أو جهةٍ. ولهذا لا يشغلني مثلُ هذا الأمر، ولم يشكّل لي في يومٍ ما هاجساً.

ولعلّ ملاحظتك تجيب على نفسها في قسم منها. فما حاجةُ هذه الجهة أو تلك إلى التركيز على نصوصٍ تحتشد بأبعاد المأساة العامة وعذاباتِ الذات، إضافةً إلى ما تنطوي عليه هذه النصوصُ من رؤى والتماعات نقدية لهذا الواقع، بكل رداءاته وعجزه؟ ثم الا ترى أنّ ذلك قد أعفاني وأعفى قصيدتي من التبعيةِ شبهِ القدرية للخطاب السياسيّ المباشر؟ بهذا أضْمن حريةَ هذه القصيدة، حين تدير وجهَها عن السياسيّ ولا تستسلم له، فلا أدخلُ معه في حوارٍ نفعيٍّ، هو بالضرورة تواطؤٌ مفضوح ومسكوتٌ عنه منذ سنوات طويلة؛ ذلك أنّ ثمن مثل هذا الحوار سيكون القصيدة، ويكون دمَ الشعر الحقيقيّ الذي تحتله السياسةُ، وتغيِّبُ الجوهريَّ فيه. فالسياسيُّ يضمّ المبدع إليه لخدمة أغراضه المحدّدة فحسب، لا إيماناً بأهميّة هذا المبدع أو دورِ الإبداع نفسه، إذ سرعان ما يَلْفظه عند أول احتكاكٍ سلبيّ؛ فهو ليس أكثرَ من موظفٍ مطيعٍ في الخدمة. وكلُّ شاعرٍ، معنيٌّ بحريّة قصيدته، لا بدّ وأن يشيح النظرَ عن كل ذلك، وأن يُصغي مخْلصاً إلى نداء الذات والإنسان فيه، لا إلى صوت منافعه الدنيوية. هذا هو مفهومي الخاصّ لاستقلاليّة الشاعر والقصيدة عن أيّة تبعيّة، مهما كان شكلُها ونبلُها، وعلى ضوئه حفرتْ قصيدتي مسارَها الطويلَ المحفوفَ بالمعاناة والثقة العميقة بالشعر والكتابة.

وللعِلْم، ملاحظتك هذه ليست بالجديدة عليّ. فقد أُثيرت منذ سنوات بعيدة، ولعلّ مِنْ أوائل من أثاروها ياسين رفاعيّة في مجلة الدستور اللندنية ـ ١٩٨٨/١/٢٥، حين كتب: «ليس هناكَ شاعرٌ فلسطينيٌّ ظُلِمَ كما ظُلِم محمد القيسي، إذ عمدت الأجهزةُ الفلسطينيّةُ دائماً إلى توجيه الأضواء إلى الشعراء الفلسطينيّين الموهوبين. لكنّ محمد القيسي نال دائماً ظلالَ هذه الأضواء. لماذا؟... ربما لأنّه لم ينخرطْ في تنظيمٍ معينٍ، لأنّه أراد أن يكون لكلّ فلسطين؛ وما التنظيماتُ إلا صورةٌ عن الانقسام الفلسطينيّ، كما هو الانقسام والتشتُّت العربيّ الذي انعكس حكماً على هذه التنظيمات».

وليس بالضرورة أن أرى في ذلك ظلماً، مثلما لا يعني أنّني أتبنّى مقولة الكاتب إذ أشير إليها. لكنْ في نهاية المطاف، هل تراني شكّاءً أو حزيناً لذلك أو غاضباً؟ إنّ الشارع ـ كما قلتُ منذ عقدين ـ أجملُ من سقفٍ أو مكتبٍ؛ وربما قصيدتي حاضرةٌ هناك □

عمّان

محمد خليل الداعوق

M.K.D.

شركة تضامن ـ تأسست ١٩٥٥ ـ سجل تجاري رقم ٣٠

جميع أصناف الورق والكرتون: ورق طباعة
كوشيه ـ ورق تصوير ـ كرتون ـ ورق «NCR»

الصنائع ـ شارع علم الدين ـ بناية الداعوق ـ الطابق الأول
هاتف: ٧٣٧٧٨٥ ـ ٣٤٢٢٥٨ ـ ٧٣٧٧٨٦ ـ ٠١/٣٤٢٥٣١
فاكس: ٠١/٣٤٠١٣٨ ـ e-mail: dadaoukk@inco.com.lb

Branch Office:

INTERNATIONAL INC.
Est. 1988 - Paper & Board
3021 Owen Drive - Antioch
(Nashville), Tennessee 37013 - USA
Tel: (615) 641 3440
Fax: (615) 641 6650 e-mail: mkdint@earthlink.com